ما يمنعه من الوقوع ألا يوم يأتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب
مرفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم
خبرها عليها وحاق بهم وأحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة
في التهديد ما كانوا به يستهزئون أي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزئون موضع يستعجلون
لأن استعجالهم كان استهزاء ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ولئن أعطيناه
نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة منه إنه ليؤوس
قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به كفور مبالغة في كفران
ما سلف له من النعمة ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم
وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات
عني أي المصائب التي ساءتني إنه لفرح بطرا بالنعم مغترا بها فخور على الناس
مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الإذاقة والمس تنبيه على أن
ما يجده الناس في الدنيا من النعم والمحن كالأنموذج لما يجده في الآخرة وأنه
يقع في الكفران والبطر بأدنى شيء لأن الذوق إدراك الطعم والمس مبتدأ
الوصول إلا الذين صبروا إيمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصا
لحات شكرا لآلائه سابقها ولاحقها أولئك لهم مغفرة لذنوبهم وأجر
كبير أقله الجنة والاستثناء من الإنسان لأن المراد به الجنس فإذا كان
محلى باللام أفاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء
منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك تترك تبليغ ما يوحى إليك وهو
ما يخالف رأي مخافة ردهم واستهزائهم ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما
يدعو إليه وقوعه لجواز أن يكون ما يصرفه عنه وهو عصمة الرسل عن
الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ مانعا وضائق به صدرك وعارض لك أحيانا
ضيق صدر بأن تتلوه عليهم مخافة أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز ينفقه في الاستتباع
كالملوك أو جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره أن يقولوا
إنما أنت نذير ليس عليك إلا الإنذار بما أوحي إليك ولا عليك ردوا أو اقترحوا
فما بالك يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فإنه عالم بحالهم
وفاعل بهم جزاء أقوالهم وأفعالهم أم يقولون افتراه أم منقطعة والهاء لما يوحى
قل فأتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم أولا بعشر سور ثم
لما عجزوا عنها سهل الأمر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد
مفتريات مختلقات من عند أنفسكم إن صح أني اختلقته من عند نفسي فإنكم

عرب

عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما أقدر عليه بل أنتم أقدر لتعلمكم القصص
والأخبار وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله
إلى المعاونة على المعارضة إن كنتم صادقين أنه مفترى فإن لم يستجيبوا لكم
بإتيان ما دعوتم إليه وجمع الضمير إما لتعظيم الرسول أو لأن المؤمنين كانوا
أيضا يتحدونهم وكان أمر الرسول متناولا لهم من حيث أنه يجب اتباعه عليهم في
كل أمر إلا ما خصه الدليل وللتنبيه على أن التحدي مما يوجب رسوخ إيمانهم
وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذا رتب عليه قوله فاعلموا أنما أنزل بعلم
الله ملتبسا بما لا يعلمه إلا الله ولا يقدر عليه سواه وأن لا إله إلا هو واعلموا
أن لا إله إلا الله لأنه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز
آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه بإعجازه عليه وفيه تهديد
وإقناط من أن يجيرهم من بأس الله آلهتهم فهل أنتم مسلمون ثابتون على الإسلام
راسخون فيه مخلصون إذا تحقق عندكم إعجازه مطلقا ويجوز أن يكون الكل
خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم أي فإن لم يستجيبوا لكم
إلى المظاهرة لعجزهم وقد علمتم من أنفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا أنه
نظم لا يعلمه إلا الله وأنه منزل من عنده وأن ما دعاكم إليه من التوحيد حق
فهل أنتم داخلون في الإسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام
إيجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر
من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها بإحسانه وبره نوف إليهم أعمالهم فيها
نوصل إليهم جزاء أعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة
الأولاد وقرئ يوف بالياء أي يوف الله ويوف على البناء للمفعول ونوف
بالتخفيف والرفع لأن الشرط ماض كقوله

وإن أتاه كريم يوم مسغبة ... يقول لا غائب مالي ولا حرم

وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من أجورهم والآية في أهل الرياء
وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم أولئك الذين ليس لهم في الآخرة
إلا النار بمقابلة ما عملوا لأنهم استوفوا ما تقتضيه صور أعمالهم الحسنة
وبقيت لهم أوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها لأنهم لم يبق لهم
ثواب في الآخرة أو لم يكن لأنهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها
هو الإخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على أن الضمير للدنيا وباطل
في نفسه ما كانوا يعملون لأنه لم يعمل على ما ينبغي وكأن كل واحدة من الجملتين